أرسطوطاليس

الفصل الأول

حياته وتآليفه

لم يتح لطائفة الفلاسفة أن تبلغ بهم النباهة بين العموم وبعد الصيت بحيث تصبح أسماؤهم من الألفاظ التى يلهج بها أهل المنازل ، ويصل بعد صيتهم إلى أن ينوه بذكرهم فى المجالس والمحافل ، وتسير بأنباتهم الركبان ، ويشار إليهم باطراف البنان ، كما وقع لفطاحل الشعراء ، وأفاضل الأدباء والبلغاء ،

ومن العسير المستنكر فى تصورنا أن نعزو المرء إلى شرف الإطلاع والدراية مالم يكن قد تناهى إليه اسم « سوفوقليس » واتصل بسامعه سمعة « موليير » الشاعر الشهير الكبير ، فالمظنون والمامول فى كل ذى اطلاع ، والأمر المنتظر من كل أديب أريب هو ان يعرف على الأقل من هم أولئك الكتاب النبلاء النبهاء ، واية حقيقة وماهية أماطو اللثام لانفسهم عنها ، وإن يلحظ فى الحال بالمعيته وتوقد قريحته مايومض إليه أى استشهاد يلمع إلى « انتيجون » أو قالى الانسانية .

بيد أنا إذا اعتقدنا الرجل تام الدراية والدربة عند مايكون مترع الذهن مفعم الخلد والذكر بقريض الشعراء ونثر المؤرخين والأدباء ، فلا نخاله ناقص الإطلاع مخدج الإدراك والعرفان إن كان جاهلا

باسم مثل « ديكارت » و « كنت » ومع ذلك ورغم ماهنا وهنالك ، فقد جاد الزمان علينا بلفيف من الفلاسفة وأقطاب المعرفة والحكمة ، ابلوا بلاء حسنا فى التعليم والتهذيب ، وكان تأثيرهم على الأفكار واللغة فى المكانة المثلى ، والدرجة الحسنى العظمى ، بحيث لم يعد فى وسع إنسان ذى نظر وعرفان أن يجهل أو يتجاهل اسماءهم وان أى ناطق بلغة مهذبى الأوربيين فانه مولع على الدوام باستعمال متن لغتهم .

ومن هذا اللفيف الممتاز والقبيل الخطير الامتياز ، فيلسوفنا النبيه أرسطو وهو بينهم لايقل مكانة ، فكل منا قدنمى إليه نبؤه كما رقى إلى أسماعنا جميعا فضل الشاعر الشهير الكبير «أوميروس» فلا مرية ولا شبهة فيما آتاه وخلفه من الأثر البليغ الماثل على علم اللاهوت ، حتى أن العديد الوافر ، والكثير الجم من صيغ الكنائس المسيحية وعباراتها ، لاتحل رموزها ولا تفتح كنوزها ، مالم يوقف على مايتصوره هذا الحكيم عن الكائنات ، ويفهمه من سر الخليقة .

ولو كان لنا شغف وولوع بالبحث والتنقيب عن كيفية نشوء وتطور العلم الطبيعى الحديث فانه يتسنى لنا العثور على أن بعض الالمام بالمنزع الارسطى حق علينا ، بل ضربة لازم حتى نفهم « باكون » و « جاليلى » وكثيرين آخرين ممن نبغوا أخيراً وخالفوا ذلكم الحكيم الخطير وابتكروا نمط النظر العلمى البديع عن الطبيعة .

وإننا إذا لم نوطن أنفسنا على وجوب التعرف بملخص فلسفة أرسطو وطفقنا ننظر إلى الأدب الخيالى للامم الحديثة تبدى لنا

« دانتى » (ذلكم الشاعر الايطالى) كسفر مختوم ، وكذلك تتراءى لنا فقرات الشعراء «شوسر» و «شكسبير» و « ميلتون » وهى مغلقة مبهمة لاتكاد تحمل معنى ، ولا تبدى مغزى .

فالرجل الذى يتكلم عن الوسط الذهبى ، أو عن التربية الحرة ، أو يعارض مادة تأليف عن الآداب بصورته ، أو يقارن الصفات الذاتية الجوهرية لموقف ، أو تدبير سياسى بأعراضه ، أو يضاهى النظر بالعمل إنما يردد ألفاظا أو يستعمل صيغا .

وكل مايرجع اشتقاق معانيها إلى الدور الذى قامت بتمثيله والعمل الذى أتمت تأديته فى متن لغة أرسطو .

لاجرم حدت بنا تلكم الأسباب والدواعى المهمة التى جئنا بشرحها فى هذا التمهيد إلى وضع هذا الكتيب وكل مافى منته هو ان يعين القارىء على أجود فهم لمثل هذه اللغة المتداولة ، وعلى تصور صحيح ناضج للكثير مما يلقاه ويعثر عليه فى « دانتى » و « شكسبير » .

حيـــاة أرسطو

إنه لحرى بنا أن نقص بإيجاز قصص الحقائق الواقعة الرئيسية لحياة هذا الحكيم .

ولد هذا الحكيم الفاضل عام ٣٨٤ أو ٣٨٥ قبل الميلاد بمدينة اسطاغيرا الصغيرة الكائنة فى شبه جزيرة خلقيديقى وهى التى ما برحت على وجه التقريب تدعى باسم خلقيس ، ولما استكمل من العمر اثنين وستين ربيعا قضى نحبه ووافاه حمامه . وكان ذلك بمدينة

خلقيس الأصلية الكائنة فى جزيرة أفيبا ، فكان معاصرا للخطيب ذيمستانس وشاهد بكلتا ناظريه فى أبان رجولته ذلكم الشجار والنضال الذى تكشف وانجلى عن تأسيس المملكة المقدونية التى اضحت ذات السلطان والسيطرة على بلاد الهلاذة (أقوام الأغريق) ، وكذلك رأى وعاين بمقلتيه فى أيامه الأخيرة تلكم الغزوات التى قوض بها تلميذه اسكندر الأكبر بناء الامبراطورية الفارسية ، وحمل التمدين الاغريقى إلى ضفاف نهر السند ، تلك أمور وشئون وخطوب ينبغى أن تكون عالقة بذهن كل امرىء خاطرة بباله ، دائرة بخلده ، كلما خاض فى درس نظريات أرسطو عن مقومات الحكم الدستورى فانها تكون نعم العون له على تعليل وتبين ماعن لنا وسنح فى بوادر حالات أرسطو من شبه التقيد ، والتزام بعض الحدود الضيقة ، ذلك الأمر الذى قد يتراءى لنا دون هذه الملحوظات غريبا داعياً إلى الحيرة والعجب فى رجل امثل كهذا المرء النبيه .

وأيضا تزيح الاشكال وتبعث بضياء شعاعها المنير على كنه ما كان عليه الفيلسوف من الاقتناع بضعة البربرى (أى الاجنبى عن الجنس الاغريقى) وانحطاطه طبيعيا فى المدارك والشيم جميعا ، وتمهد لنا الحدس بأن هذا النابغة النبيه ، والداهية الوجيه ، إنما نشىء فى بيئة قصيه كان ينظر فيها إلى البربرى وترمقه عيون الظنون بانه قاصر فطريا ، ناقص الخلقة والتكوين ، نمو بالعوائق الغريزية التى تقعد به عن درجة الكفاءة والمقدرة على السير فى ميدان الحياة العادية ، ذاك ماساق وقاد إلى أن أصبح يقصد بالتمايز بين

الاغريقى والبربرى قصد الرجل الامريكى الناشىء بالولايات الجنوبية من لفظة الفاصل اللونى ، وفضلا عن هذا فاننا عند ما نبحث بمذهبه عن تقسيم الدولة إلى طوائف ، وعن إيثار واعتبار مدينة وجيزة مثلى متقومة ذاتيا ومسوسة بضرب من سياسة الخسة جدير بها مع نظام خير لتربية عامة ، ومع الخلو عن مشاكل مدنية والتجرد عن تقاليد نخيمة البال ، ومطامح بعيدة المنال ، يتحتم أن نتذكر أن ذلك الفيلسوف نفسه كان تابعاً لمدينة تضارع تلك المدينة فى الصغر ليس لها ماضى ولا مستقبل .

والواقع أن المدن الخلقيديقية أسست فى البداية (كما ينم عنه عنوان شبه الجزيرة) على أن تغدو مستعمرات لمملكة خلقيس الأصلية الكائنة فى جزيرة افيبا ، والتى كان يشاطرها فى الاستعمار بتلك الجهة مملكة قورنس . وتلك المدائن هى التى سقطت فى قبضة أيدى الاثينيين أثناء ارتفاع عظمة الامبراطورية الأثينية لعهد براقليس .

يبد أنها لم تلبث أن سلخت من أثينية فى اخريات مدة الحرب الارخيدامية بفضل عبقرية الجندى الباسل الاسبارطى والسائس المحنك براسيداس .

وفى صدر القرن الرابع حاولت المدن الخلقيديقية أن تكون من نفسها وحدة لولا أن اسبرطة قضت على هـــذه الحركة وسقطت المدن فى حوزة الملكية المقدونية التى نبحت نابغتها حين كان أرسطو طفلا .

وبعد حين من الدهر وملىّ من الزمن دبرت المدن مكيدة مزدوجة ضدا لكل من فيلبس (مقدونية) واثينية لكن كان عقباها الفشل والاخفاق وقضى الأمر بانضمام شبه الجزيرة إلى المملكة المقدونية .

وليعلم أن من أمهات المهمات الجديرة بتوجيه النظر والالتفات فى هذا الصدد أن نعرف بأن الفيلسوف يمت باصله إلى شعبة من شعب استقلبياذس كان فيهم صناعة الطب أمرا وراثيا يرثه كل خلف منهم عن سلف ، وان أباه نقوماخس كان طبيبا فى بلاط الملك أمونطاس الثانى هذا الملك الذى من أجله فعل الاسبرطيون مافعلوا للقضاء على الأمة الخلقيديقية ، فاتصال هذا بالطب والبلاط المقدونى يبين لنا بتباج ونصوع كيف غلب على فلسفته صبغة علم الحياة ، ويوضح لنا جليا لماذا كان يقلى الأمراء وبلاط الملوك ذاك القلى الحار الذى فاه وصرح به غير مامرة هذا وعندما ناهز الثمانى عشرة سنة أى فى ٣٦٧ أو ٣٦٦ أرسل إلى أثينية للتخرج فى الفلسفة والعلوم الطبيعية فادخل إلى أقاذامية أفلاطون الذائعة الشهرة حيث لبث عضوا من الهيئة العلمية (هيئة الطلاب والتلاميذ) الملتفة حول الأستاذ زهاء عشرين حجة .

وبالجملة ظل كذلك مثابرا على الجد فى الطلب إلى أن مالت شمس حياة أفلاطون إلى الأفول .

وكان ذلك سنة ٣٤٧ أو ٣٤٦ وبوفاته لم يلبث أرسطو أن رحل وبرفقته صديقه وزميله فى الدراسة أرمياس إلى آسيا الصغرى حيث

لبث نزيلا ثلاثة أعوام كاملة وفى غضونها أمسى صديقه هذا بمحض مواهبه وصرف استطاعته ملكا على مدينة أطارنوس من طروادة ووقف بحماس وتماسك وثبات قويم تلقاء ملك الفرس ـ ثم كان أن اقترن أرسطو ببوثياس ابنة أخى هذا الصديق . ويلوح لنا أن هذا الاقتران كان سعيد الطالع ميمونا .

هذا ومن تصانيف أرسطو فى علم الحياة البحرية يتألق لنا أن معلوماته بها كانت على وجه الخصوص ذات جودة ومتانة وما ذاك إلا من ثمرات نزوله بالساحل الأيونى دانيا من شواطىء الجزائر الدانية المجاورة ، وهـــذا يكشف لنا بضيائه عن اهتمامه بالدرس وولوعه بالبحث آناء مقامه مع ارمياس ويرشدنا إلى أن أفلاطون كان على بصيرة وبينة من ميول عقل تلميذه الفذ حيث ألفيناه يتوسم فيه الصبو إلى ذلك الفن من أفانين العلم ، ويدل على أن حظه من مباحث الاقاذامية كان مثل حظ اسبوسبوس ابن أخى أفلاطون وخلفه على رياسة الاقاذامية فى أن جله كان من نوع مباحث علم الحياة .

ومن المعالم الثابتة لدنيا أيضا أن أرسطو بعد رحلة أستاذه عن هذا العالم بيسير زهيد كان من جملة التلامذة الألى نقحوا محاضرات معلمهم التى لم تكن قد نشرت بعد .

وفى سنة ٣٤٣ اغتيل أرمياس بايعاز من فارس فأحيا ذكره أرسطو بأنشودة تعرب عن شرف الفضيلة طبق ما أعربت هى بنفسها

عنه من الشرف فى شخص هذا الملك النبيل الفاضل .

وفى آثار هذا الكاتب أزمع أرسطو النزوح عن آسيا فوصلت به مطايا الترحال إلى البلاط المقدونى حيث أسند إليه منصب المربى الخاص لولى العهد الذى كان هو اسكندر الأكبر فيما بعد . وفى هذا الظرف (٣٤٣ قبل الميلاد) لم يكن إلا من أبناء الثالثة عشرة . فمعاشرة الفيلسوف العظيم للملك العظيم كان لها بالطبع أثر مدهش فى خيال العصور الأخيرة ، حتى أننا فى ترجمة فلوطرخس لحياة الإسكندر نرى أمراً واقعاً من قبل تلك الأسطورة الضخمة والترهة العريضة عن تأثير فلسفة أرسطو على الاسكندر .

ومهما يكن من أمر فلا يحتمل أن يكون تأثير أرسطو ذا فعل قيم فى تكوين خلق الإسكندر فبغضة أرسطو لسياسات الوحدانية والضروب التى تلحق بها بادية بجلاء من كتابيه الأخلاق والسياسة .

أما المدينة الصغرى القائمة بنفسها المتجردة عن المطامع السياسية تلك المدينة التى يعجب بها أرسطو فإنها عند الإسكندر ووالده فيلبس من قبله ليست إلا حلما من أحلام القدماء ورواية من رواياتهم .

والشاهد الأوحد من البينة المبينة عن صفة العلاقة بين الاستاذ وتلميذه فقرة وردت فى كتاب تهنئة بعث به خطيب الجمهور اللاتينى ايسقراطس إلى الفتى اسكندر يهنئه فيه (مرغما لا عن طيب نفس)

ان فضل الخطابة العملية تجاه الجمهور على النظرية العلمية وابتذاله المناطقة وأمعانهم فى متجاوز التشقيقات والتقاسيم .

ولا أدل على أزورار أرسطو عن مطامع تلميذه من أنه بالرغم من دراسة نظرياته السياسية بيقين خلال السنين التى ظل فيها الاسكندر ينشىء الهلاذية نشأتها الجديدة بتاسيسه امبراطورية عالمية ، لم يلمع فى تلك النظريات إلى شىء من ذلكم الانقلاب الخطير الذى حدث فى النظام الاجتماعى .

وكل ماقاله أرسطو وأفضى به إلينا ألقاه علينا وكأن لم يكن للاسكندر وجود وكأن مدينته الصغيرة آخر ماتطورت إليه السياسة الهلازية وكتب عنها .

من ثم يغلب على الظن أنه لم يكن انتخاب أرسطو وهو إذ ذاك لم يكن قد برز نصب أعين الناس مفكرا حرا ليشغل وظيفة المربى لولى العهد من تلقاء شهرته الشخصية بل لما لاسرته من العلاقة بالبلاط أضف إلى ذلك ما اكتسبه من المكانة بتلمذه على أفلاطون الذى بفضل تدخله فى أمور صقليه العامة أمست الاقاذامية فى النظر والاعتبار ملجأ خاصا للاشتغال العلمى بالسياسة والفقه .

قد يكون من الأمر الحائز بالصدق أن الاسكندر وجد فرصة (وهو فى غمرة الفتوحات) ليمد معلمه الخاص بنماذج من علم الحياة ، وبالجملة فمن المؤكد تاكد الواقع أن أمانى وأخلاق كلا

الرجلين كانتا على طرفى خلاف يحول دون تاثير الرفاقة من أحدهما على الآخر .

هذا وان الإسكندر عندما دعى بغتة إلى عرش مقدونيه اثر واقعة قتل أبيه ٣٣٦ ق م لم يعد بالأمر حاجة إلى منصب التربية ذلك فالغى ولم يكن إلاعشية أو ضحاها حتى عاد أرسطو ادراجه إلى اثينية وتفرغ للاشتغال بالأشغال العلمية المحضة .

واتفق فى ذلك الحين أن خلت الاقاذامية من الرئاسة وذلك بوفاة سبوسبوس الذى كان فى السابقة رصيف أرسطو فى إبحاث علم الحياة فانتخب لها اكسنوقراطس الخلقيدونى ويمكن أن يظن أن أرسطو إذ ذاك شعر بجرح أصابه عند ما اخطأه سهم الانتخاب .

ومهما يكن من أمر فان أرسطو وإن كان لم يقطع فى الظاهر والعلن صلته نهائيا بالاقاذامية أقبل فى ٣٣٥ ففتح معهدا فى اللوثيوم أوموضعا للتعليم من الملحق بهيكل أبولو لوثيوس منافسا للاقاذامية التحق به العدد العديد من نابهيها ومن أجل أنه كان يعلم فى المتمشى أو الرواق المسقوف من ذلك الملحق دعى مذهبه بالمذهب المشائى .

ولبث أرسطو فى السنى الاثنتى عشرة التى خلت من بعد ذلك معنى بتدبير معهده وإعداده ليكون موئلا للبحث فى كل شىء وبتأليف عديد المحاضرات عن المطالب العلمية والفلسفية . وبهذا أضحى على وجه العموم أهم مميز بين المعهد الجديد والاقاذامية أن الأفلاطونيين يحصرون همهم فى التعليميات ، وأبناء اللوثيوم

يجولون فى كل مضمار وإن كانت تحريرات اللوثيوم الرئيسية إنما تحوم حول علم الحياة والتاريخ .

وقضى فى لواحق عهد الاسكندران خامره الريب فى أمر معلمه القديم صاحب الفضل الاثيل واختلجه الاشتباه به فتحول عنه قلبه وتنكرت أنظاره نحوه فتوترت علاقته به وقلب له ظهر المجن ؛ وذلك أن قريب أرسطو المؤرخ قاليستانس كان قد غشى غزوات الاسكندر ليدون أنباءها ويسجل أخبارها ، ثم انه انبرى فأخذ ينحى بالأئمة ويحيل بالتعنيف على الاسكندر وينكر عليه ماصنع من الاصرار على التوقف عن تخويل رعاياه الهلاذيين ماطمحوا اليه واسعافهم بما تقدموا به اليه من شبه المركز الدستورى إذعانا لرائد الغطرسة والاستبداد الشرقى ، فاحفظ ذلك الاسكندر واستفز غضبه وأوغر صدره عليه .

فكان استقلال المؤرخ بفكره واستباحته الحرية لنفسه فى إبداء رأيه نذر خطر فان ذلك الاقدام والتجرؤ جر عليه الاشتباه فيه وقرف بأنه رأس مؤامرة دبرها فيما بينه وبين صنائع الاسكندر هدفها الفتك به واغتياله ، وأعقب ذلك أن أعدم صلبا أوزج فى أعماق السجون حيث عاجلته منيته قبل محاكمته على اختلاف الروايات .

ويقال أن الاسكندر رأى أن أرسطو مسئول عن خيانة قريبه ، مأخوذ بجنايته . فان افترض صحة ذلك كان من حسن حظ

أرسطو أن شغل الاسكندر بغزو الهند وخلص المعلم بذلك من براثن الانتقام ومغبات الاتهام .

وفى العام الذى قضى فيه الاسكندر نحبه وهو عام ٣٢٣ ق . م قامت ثورة ضئيلة فى أثينا إلا أنها عنيفة شديدة من حيثية مضادتها للمقدونيين ، فلما كان لأرسطو من العلاقة بهم وقع بالطبع فريسة رغما نفوره واجتوائه لأمانى فيلبس وابنه الاسكندر فقرف بما قرف به من قبله سوقراط من تهمة الكفر الفظيعة تعللا بأن تأبينه لارمياس المسطر منذ عشرين عاما تصرمت من قبل كان فى حكم تأليه صاحبه ، ولكن لم يكن هذا الاحتجاج إلا رياء وتظاهرا فقط . والواقع انه ما اعتدى على ناموسه ونيل من جانبه إلا بيد أمر سياسى وذلك بما كان له من الصلة بالزعيم المقدونى انطيبطر ، وبما أن القتل كان أمرا محتما ، وحكما جزما ، أحس به الحكيم فلاذ بالجلاء عن أثينا وشخص إلى مدينة خلقيس التى كانت أم القرى فى هذه الناحية وحاضرة اسطاغيرا مسقط رأسه ، وهناك بعد سنة استأثر الله بروحه حيث أسلم الروح وهو فى سن اثنتين أو الثلاث والستين .

أما ملامح أرسطو ومخايله التى تلوح لنا من تمثاله النصفى فبهية حسناء ، غير أنها أكثر دلالة على تهذيب وذكاء منها على إعجاز ودهاء ، ويقع لنا ذلك التفرس بالرغم عما كنا نتوقعه بما تتركه فى نفوسنا دراسة مؤلفاته من آثار الاندهاش وآيات الاعجاب .

اما مايتحدث به عنه من روايات الأقاصيص فانها إنما تنم عن

عواطف وداد ، ورقة وحنان . ولا تكشف من مقدار الأهمية التى تفصح عنها مؤلفاته إلا عن قليل ضئيل . وملء وصيته المحفوظة لدنيا إلى اليوم شواهد التصبر والقيام بالواجب ، والخلق الحسن الذى تقتضيه الحياة العائلية ، كما أن كلها دلائل الاهتمام وعلائم الاعتناء بولده وحشمه .

ولقد قدر لهذا الأصيل المجيد النبيل أن اقترن باثنتين : احداهما بوثياس والأخرى اربلس ، ومن هذه أنجب بنيه نقوماخس وابنة ، وقد اختص بالذكر فى درج نصوص وصيته برّ اربلس التى منحها فيها بتوصية خاصة .

ولكن بينا نطالع ذلك اذ نرمق شعور الكاتب الحار نحو بوثياس من الإشارة بان رفاتها يجب أن يوسد فى نفس الرمس الذى يوسد هو فيه ، ونستطلع من تعداد أسماء الخدم والغلمان والمبار التى وصى بها لهم ان هذا الحكيم كان أرغد عيشاً ، وانعم حالا من شيخه أفلاطون .

تأليف أرسطو — إن ما يدعى بتأليف أرسطو ليأخذ بقيادنا إلى إحدى غرائب المشكلات ، وذلك : أننا إذا انعطف بنا النظر من أفلاطون إلى تلميذه ترانا وقد انتهى بنا التجول والتنقل إلى جو من طراز آخر ، فكتاب أفلاطون المسمى بمباحثات سوقراط يعرض على مداركنا أسلوبا نثريا قد يجوز أن يكون أبدع ما دبجته يراعة فى الآداب ، وخير ما أخرج للناس من منثور الكلام ، فلا يكاد يوافينا الجد بصوغ يباريه أو يدانيه فى الفصاحة ، والبراعة ، والخيال

الرائع ، والمنطق الحاسم لكل شبهة ، ويلقى إلينا بذكاء لا يدفع ممزوج بزلال السمو وعذب التفكهة ، وهذا مع ماتقف عليه من آثار أرسطو على طرفى نقيض ، فأسلوبه جاف وعلمى صورى ، ولغته غاصة مترعة بالمصطلحات ، وقلما تحرك من العواطف . على أنه يكره الأسلوب المجمل ، ويقتفى عادة أبسط القواعد فى الإنشاء .

ومما يدعونا إلى أكبر العجب أن نرى اللاحقين من قدماء الكتاب مثل « شيشرون » يلهجون بفصاحة أرسطو الذهبية السيالة مع أنا نرى كتابات أرسطو التى بأيدينا فى عوز من هذه المزية العظمى .

إن تعليل ذياك العجب لخطب يسير ، وإن السبب فيه لأمر وجيز بسيط . وذلك : قد تم لهذين الحكيمين ووقع لهما حقا ان كان كلاهما أستاذا خطيرا وكاتبا أديبا نحريرا ، وان كليهما حرر كتبا وحبر صحفا ليتداولها العموم من أهل الخطاب ، وألقى محاضرات لزمرة خاصة من الطلاب وأولى الألباب . لكن بينما محاضرات أفلاطون تلفيها وقد باتت بيد الضياع نهبا إذا كتبه وقد آلت إلينا وظفرت بها يدنا ، وعلى العكس من ذلك ما أثر عن أرسطو وجادت به قريحته من الإفادات والإرشادات فان كتبه الجل أنشب فيها الفقدان أظفاره ولم نظفر إلا بمحاضراته .

فالمؤلفات التى امتدحها « شيشرون » وأطراها لما ابدته من براعة فى الفصاحة وإجادة وإبداع فى البيان ، كانت مسائلات ومجاوبات ومثالا لإنشاءآت « شيشرون » نفسها فى هذا الشأن .

ولم يقع بصرنا منها على عين ولا أثر اللهم إلا شذورا ونتفا معدودات جاء بها المتأخرون للاستشهاد بها فى موارد خاصة ، فأما ما نطلق عليه اسم تأليف أرسطو فليس إلا مخطوطات محاضر نقحها تلاميذه من بعده ونشروها فى توالى عهده ، وذلك باد بجلاء من بينات وشواهد داخلية وخارجية ، وإننا فى مثال واحد لنستفيد من الانتقاد والمراجعة المزدوجين . وإليك مثلا : لقد وافتنا أخلاق أرسطو أو مباحثه الأخلاقية فى تاليفين اثنين

أحدهما يعرف بكتاب أخلاق نقوماخس نجل الفيلسوف ، عزى إليه إذ كان هو الذى رتبه وهو حائز لجلة المزايا التى لجميع المحاضرات الشفوية .

والآخر : يدعى أخلاق « أوذيمس » نظم شملها وأفرغها فى صيغة أخرى تلميذ له مبرز فى التعليميات يعرف بذلك الاسم .

هذا وقد أتاح لنا الدهر فاستنقذنا من أعماق الثرى وأطباق رمال أرض الفراعنة مانستظهر أنه أول باكورة من نموذج تاليف أرسطو ، وأنه رمى بإخراجه للناس إلى أن يكون بايدى العامة يتداولونه ويتناولونه بسعة ، وهذا هو رسالته فى نظام الأثينيين[1] . وهى ذات أسلوب ساس سيال ، ومتعارف مالوف بين جمهور الأنام ، يوقفنا على أن هذا النجم الثاقب ، ذى الفكر الفياض الصائب ، كان فى استطاعته الإجادة وحسن الصناعة والصياغة ، وإنه كان فى منته وطاقته أن ينمق ويتانق ماشاء ، ويأتى بالابداع متى رأى المقام لائقا والحال موافقا .

(١) ترجم هذا الكتاب الدكتور طه حسين .